نقد التراث والآخر عند حسن حنفي

جُليد قادة(*)

لا شـك أن المتتـبع للحركة الفكرية المعاصرة فى العالم العربى الإسلامى اليوم، يـدرك وهـذا دونما عناء فى التفكير أو إصدار للحكم، أن المفكر العربى الكبير حسن حنفي بمشروعه الفلسفى والحضارى الضخم "التراث والتجديد" يعد من القلة القليلة بين المفكـرين العـرب الـدين يجمعـون فى منهجيتهم فكرية والنقدية بين التفكير الفلسفى المحتـرف والدعـوة العملية للتغيير الإجتماعى واستبدال الواقع المعاق بواقع طموح. فالفكـر النظـرى فـى فلسفته لا ينفصل عن الفكر العملى كما لا ينفصل التنوير عن التحريـر، ولا غـرو فـى ذلك، فمشروعه الفكرى متعدد الجبهات والأهداف ويحمل الكثيـر مـن الـتحديات على شاكله "إما أن نكون أولا نكون" فهو يخوض لجة البحر العمـيق بكل ما أوتي من قوة وجهد من أجل أن تصل الأمة إلى شاطىء الأمان، وهو يكـتب لجمـيع المـستويات ولكل الأطياف الفكرية والإجتماعية على إختلافها وتفاوت درجـة وعـيها، وهـذا هـو شـأن المفكر الملتزم والمسئول الذي يعيش وسط الناس وضجيجهم متحسسًا فى ألم عقل الأمة العاطل وأطرافها المقيدة بثقل الواقع متحمسا فى أمـل لإعـادة الـبعث والبناء، بعث حوار نقدى ومعقول بين الماضي والحاضر وبناء إنـسان عربـى جديـد يستجيب للمرحلة التاريخية الجديدة وهذا هو جوهر مشروعه الفلسفى الكبير: "التراث والتجديد" الذى يتحدد بثلاثة عناصر أساسية:

١-موقف من التراث القديم (الأنا)

٢-موقف من التراث الغربي (الآخر)

٣ نظريةالتفسير(بناء العلاقة بين الأنا والآخر)

(*). معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.

إن التراث والتجديد إذن هو صلب المشروع الفلسفى والحضارى عند حسن حنفي وهو مشروع ذو جبهتين: الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية، جبهة الأنا وجبهة الآخر، مشروع يسعى إلى ترميم صورة الأنا كما ورثناها من حطام الماضي السحيق بكل سلبياته وإيجابياته وبناء صورة جديدة فى إطار نسبيته وتاريخيته وشروطه المنتجه له. ومن ثم فى هذه الدراسة سوف نحاول أن نقترب من بعض الأسئلة الجوهرية التى يطرحها حسن حنفي فى مشروعه الفكرى والتى تعتبر أسئلة أساسية ومضيئة فى بناء نظرية التاريخ: التاريخ العربى وما يحمله من عوائق وإمكانيات والتاريخ الغربى وما يحمله من إنجازات وقيود.

إن الإشكالية النظرية والإجتماعية والحضارية للتراث والتجديد عند حسن حنفي ليست إشكالية طارئه فى الفكر العربى المعاصر، بل هى إشكالية عضوية وصميمة فى هذا الفكر منذ عصر النهضة وإلى اليوم هذه الإشكالية التى تتمحور أساسًا حول أسئلة النهضة والتقدم والبناء، محاولة اللحاق بالركب الحضارى، ومن هذا المنطق، فإن "التراث والتجديد هو الوريث لحركات الإصلاح الدينى الحديثه التى بدأت منذ أكثر من قرن من الزمان وهى العملية التى تصب فيها كل محاولات التغيير الجذرى للقديم إما على المستوى الفكرى أو مستوى الواقع"(١).

وإذا كان يبدو واضحًا أن حسن حنفي قد إنخرط وانتظم تاريخيًا وفكريًا فى سياق إشكالية عصر النهضة وهى "كيف تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" وكيف نغير الواقع العربى ونحقق الهدف العربي المتمثل فى التجسيد الفعلي للنهضة والتنمية والبناء الحضاري، فإن هذا لا يعنى أن حسن حنفي يقاسم كتاب النهضة والحداثة منهجياتها المطبقة فى قراءة التراث، تراث الأنا وتراث الآخر، فالتراث عند حسن حنفي ليس إرثا ماديا يمكن إن نتخلى أو نتنازل عنه فى أى لحظة من لحظات التاريخ، بل هو

---

(١). حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٤، ١٩٩٢ ، صـــــ: ٥٧

مسألة شخصية مرتبطة بوعينا وشعورنا فالذى يكتب عن تراثه إنما يكتب عن نفسه بشكل أو بآخر. والتراث لا يوجد وراءنا بل يوجد أمامنا لأننا معرضون إليه ولأنه قدرنا.

إن مسألة تجديد التراث عند حسن حنفي ليست مسألة نظرية مجردة أو ترفا فكريًا أو قضية ثقافية محايدة، بل هى عملية حضارية تجمع بين الوعى والمسئولية من جهة، والإلتزام بقضايا الأمة والمجتمع والتاريخ من جهة أخرى، "من أجل المحافظة على الإستمرار فى الثقافة الوطنية وتأصيل الحاضر ودفعه نحو التقدم والمشاركة فى قضايا التغيير الإجتماعى"[1]. وهذه العملية من شأنها أن تعمل على إعادة صياغة جديدة للذات العربية بعد تخليصها من حطام الماضي وأوهام الحاضر، ذات عربية واعية بوجودها وبرسالتها فى التاريخ، وهذه العملية فى نظر حسن حنفي لا تتحقق إلا بمباحثة نقدية وتجديد وصياغة فلسفية وتاريخية لمجموعة من العناصر الأساسية.

أ- تغيير المحتوى النفسي للإنسان:

يعتبر عنصرالإنسان عند حسن حنفي جوهر العملية النهضوية والتنموية فى كل مجتمع وفى كل حضارة وهو الرأسمال الحقيقى فى كل بناء إجتماعى وتاريخى "فالتصنيع والإصلاح الزراعى قد يتحطمان لأن الإنسان -وهو العامل والفلاح- لم تتم إعادة بنائه ووضعه فى العالم وظل متخلفًا عن مظاهر التقدم فالثورة الصناعية والزراعية فى البلاد النامية لا تتم إلا بعد القيام بثورة إنسانية سابقة عليها وشرط لها"[2]. ونظرًا لأهمية العامل البشرى فإن حسن حنفي يدعو إلى بناء الإنسان العربى من الداخل قبل تحميله مسئولية البناء الحضارى، فالتاريخ مثلًا يسجل لنا الكثير من التجارب التنموية التى فشلت فى العالم العربى وأخرى لم تحقق أهدافها كاملة لأنها

---

(١).نفسه، ص: ١٣

(٢). نفسه، ص: ١٣

غيبت دور الإنسان وقوته الخلاقة فى تصور مشروعها التنموى، فالإنسان واقع نفسى وأخلاقى قبل أن يكون واقعا فيزيائيًا وهو غاية البناء وليس وسيلة له فقط.

وإنطلاقًا من هذا المبدأ يرى حنفي أن غياب موضوع الإنسان فى فكرنا الإقتصادى والإجتماعى المعاصر أو تحجيم دوره فى إستراتيجية التنمية والبناء يرجع أساسًا إلى غياب البحث فى الإنسان كبعد مستقل فى تراثنا القديم، وبالتالى إمتداد الماضي فى الحاضر يقول حنفي: " إذا كنا نبنى ونعمر ثم ينهدم البناء ويخرب العمار فإن ذلك يعود إلى غياب الإنسان كبعد مستقل فى تراثنا القديم وحصاره فى الإلهيات والطبيعيات فى علوم الحكمة وإبتلاعه فى علم التوحيد وفنائه فى علوم التصوف ومحقه فى علوم التشريع"(١).

وبناء على هذه المعطيات التى تربط بين حقائق الحاضر والماضي فإن حنفي يرى أن الماضي والحاضر لا يزالان يشكلان وحدة عضوية فى شعورنا ووجداننا اليوم، وأن الكثير من سلوكياتنا وممارستنا قد نجد لها أسبابًا وذرائع تبررها من الماضي، وكنتيجة منطقية ومعرفية لعلاقة الحاضر بالماضي فى وعينا المعاصر يغدو: "تحليل التراث هو فى نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان أسباب معوقاتها. وتحليل عقليتنا المعاصرة هو فى نفس الوقت تحليل للتراث لما كان التراث القديم مكونا أساسيًا فى عقليتنا المعاصرة. ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر فى الماضي ورؤية الماضي فى الحاضر فالتراث والتجديد يؤسسان معًا علمًا جديدًا وهو وصف للحاضر وكأنه ماضى يتحرك ووصف للماضى على أنه حاضر معاش"(٢).

إن هذه الوضعية المزدوجة التى يعيشها الإنسان العربى اليوم فى وعيه وسلوكه من خلال هذا الوعى الزائف بالزمن وبلحظات التاريخ هى التى تجعله اليوم عديم

---

(١). نفسه، ص:١٧

(٢). نفسه، ص: ١٩

الفعالـــية والإبـــداع والإبـــتكار، وبالتالى كان من الضرورى والأولى أن نبدأ فى تغيير المحـــتوى النفـــسى للإنسان، تغيير الأفكار الميتة والقاتلة إستبدالها بأفكار حية وبناءة، فالواقع واقع نفسى بالدرجة الأولى وعندما نغير ما بأنفسنا سيتغير ما حولنا.

وإنطلاقًا من هذه الرؤية فإن حنفي يخلص إلى نتيجة جوهرية وهى أن الواقع فى أساسه " أبنية وسلوك ومواقف وإتجاهات، بل إن الإتجاه النفسى هو الواقع كله والواقع المـــصمت لا يـــتحول إلـــى واقـــع إجتماعى إلا من خلال سلوك الجماهير وإتجاهاتها ومواقفها، الواقع الحى أبنية نفسية وعقبات إجتماعية وتصورات للعالم"(١).

ومـــن أجـــل تجاوز هذه المشكلة الحضارية فإن حسن حنفي يقدم للإنسان العربى القاعـــدة النظـــرية فى مشروع "التراث والتجديد" لحل عقده النفسية والفكرية ومشاكله الحـــضارية حتى يصبح عنصرًا فعالا لا منفعلًا، محركًا لا تابعًا متطلعًا إلى مستقبل لا إلـــى الماضي، ومن هنا تصبح " قضية التراث والتجديد هى الكفيلة بإعادة بناء الإنسان فـــى الـــبلاد النامـــية عن طريق إكتشافه لبعده التاريخى وإعطائه أسسًا نظرية للتعبير وتفجيـــر طاقاته المخزونة وخلق ثقافته الوطنية وتحريك الجماهير السلبية وإنزالها بكل ثقل إلى ميدان التطور والتنمية "(٢).

وإذا كـــان لكـــل علم مهمة أو غاية شريفة يقصد إليها فإن مهمة التراث والتجديد هـــى "تفجيـــر طاقة الإنسان الختزنة المحاصرة بين القديم والجديد كحصار الإنسان فى اللاهوت المسيحى بين أدم والمسيح، بين الخطيئة والفداء"(٣).

إن تفجيـــر الطاقـــة الذاتـــية المعطلة للإنسان العربى اليوم وتغييرمحتواه النفسى وتصحيح أفكاره ومبادئه هى الرهان الوحيد الذى يوجد أمامنا اليوم والذى يجعلنا ننتقل

---

(١). نفسه، ص: ٥٣

(٢). نفسه، ص: ٤٩

(٣). نفسه، ص: ٥٢

من الزمن المتخشب إلى الزمن الحي، من الزمن الهائم إلى الزمن العلم، وأخيرًا وليس آخرا من اللاتاريخ إلى التاريخ.

٣- أسبقية الواقع على الفكر:

إن حسن حنفي عندما يتناول إشكالية العلاقة بين الواقع والفكر فى مشروعه الحضارى لا يتناولها فى إطار الإشكالية الفلسفية التقليدية التى تكسرت على صخورها رؤوس الفلاسفة، وهى أيهما أسبق: الفكر أم الواقع ؟؟

إن حنفي يتجاوز هذا الطرح المجرد الذى يقسم تاريخ الفلسفة إلى تيارين متعارضين "المادية والمثالية" منذ أفلاطون وإلى اليوم. إذن فما فهى نظرة حنفي لطبيعة العلاقة بين الفكر والواقع وفى مشروعه تحديدًا ؟؟

إن حنفي فى إجابته على هذا السؤال ينطلق من روح الحضارة العربية الإسلامية التى هى حضارة مؤسسة على النص حيث يرى أن القرآن الكريم وهو نص مقدس إنما جاء ليجيب على تساؤلات الواقع ومشاكله، فلم يكن نصًا مثاليًا مجردًا من إهتمامات الحاضر، بل نصًا حيًا يحمل فى ذاته ملامح الواقع وسنن المجتمع والتاريخ، فالقرآن الكريم نزل لأسباب موضوعية وهذه الأسباب تشير إلى واقع معين يقول حنفي: "وإن ما عبر عنه القدماء باسم أسباب النزول لهو فى الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له، كما إن ما عبر عنه القدماء باسم الناسخ والمنسوخ ليدل على أن الفكر يتحدد طبقًا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، إن تراخي الواقع تراخي الفكر وإن إشتد الواقع إشتد الفكر، فالتراث إذن ليس له وجود مستقل عن واقع حى يتغير ويتبدل، يعبر عن روح العصر وتكوين الجيل ومرحلة التطور التاريخي"[١].

وإنطلاقًا من هذا التصور العام الذى يحدد العلاقة الجوهرية والعملية بين الواقع والفكر فإن حنفي يرفض الفلسفات المريحة وأشكالها الحالمة التى تنطلق من الفكر وتنهى إليه، وكل الفلسفات التى لا تتخذ موقفًا نقديًا وعمليًا من الحاضر وكثيرًا ما

---

(١). نفسه، ص : ١٥

تخطب وتعتقد أنها تفكر وتنفعل وتظن أنها تفعل وتزيف الواقع أو تنكره بدل أن تواجهه بكل حقائقه يقول حنفي: " وشتان ما بين الإحساس والواقع وفرق بين الإنفعال الذاتي والحقيقة الموضوعية، فالقيم السلبية تسلبنا المقاومة الفعلية ويقضى الحب على الصراع بين الأضداد ويهدم العقل تحت وطأة الإنفعال، يحول الواقع إلى مثال وهو مازال الواقع المضني"(١).

إن المهمة الأساسية فى نظر حنفي والتى تسبق كل تغيير إجتماعى تتمثل فى ضرورة تحليل الواقع تحليلًا موضوعيًا بما يسمح لنا بالقبض على العناصر التى يتألف منها حتى نستطيع أن نميز فى هذا الواقع بين قيم التراث وقيم العصر حتى نستطيع أيضًا أن نختار المنهج الملائم لمواجهة محددات وتجليات هذا الواقع مواجهة نقدية وبناءة وبالتالى كان من الضرورى وإبتداء أن نعمل على "تحليل أبنية الواقع وإلى أى حد هى ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير الناشئة بدورها من الموروث القديم"(٢).

وبعبارة أخرى فإن هذه العملية النقدية والمعرفية الجريئة فى الفكر العربى المعاصر تود " الإنتقال من علم إجتماع المعرفة إلى تحليل سلوك الجماهير، أى من العلوم الإنسانية إلى الثقافة الوطنية إلى الثورة الإجتماعية والسياسية "(٣).

وبناء على هذه القاعدة النظرية والثورية التى تؤسس لقيام علم جديد فى الفكر العربى المعاصر، فإن الفكرة عند حنفي تشير إلى الواقع والواقع يشير إلى الفكرة، فلا غربة ولا إغتراب ولا واقع بدون أسباب ومن ثمة كان التراث والتجديد عند حنفي هو "القادر على التنظير المباشر للواقع؛ لأنه يمد الواقع بنظريته التى تفسره والقادرة على

---

(١). نفسه، ص : ١٨

(٢). نفسه، ص : ٢٦

(٣). نفسه، ص :٢٦

تغييـــره فالتـــراث هـــو نظرية الواقع والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته "[1].

إن كـــان حنفـــي يعطى أهمية للواقع الحى فهذا لا يعنى أنه ينكر دور الفكر، بل يـــرى أن الفكر تعبير عن الواقع ومحرك له، أى أن الفكر لابد أن يتكيف مع متطلبات الواقـــع حتى يستطيع أن يكون فكرًا فاعلًا ومغيرًا يقول حنفي: "وسواء بدأنا من التراث لفهم الواقع أو التنظير المباشر للواقع، فكلا المنهجين النازل والصاعد يؤديان إلى نفس النتيجة. فلا الواقع يستنبط من الفكر ولا الفكر يأتى من الواقع المسطح الجزئى إن كان يأتى من الواقع العريض، وذلك راجع إلى واقعة الوحى الذى هو مصدر التراث وكيف أنه جاء تلبية لنداء الواقع وتكيف على أساسه "[2].

إن هـــذه المقاربـــة الـــثورية للفكـــر وعلاقته بالواقع عند حنفي تشير إلى قضية شخـــصية وتاريخـــية محـــددة وهى أن حنفي مفكر صاحب الفلسفة العملية لا الفلسفة النظـــرية ومـــشروعه للتغيير لا للتبرير، يعيش التاريخ فى وجدانه لا فى خياله، يعيشه كتجربة وعمل لا كرغبة وأمل.

٣- تجديد علوم التراث:

يـــرى حنفـــي أن التـــراث يحمـــل فى ذاته الكثير من الإمكانيات والعناصر الإيجابـــية التى تجعلنا نستفيد منه اليوم فى بناء نهضتنا المأمولة، ولكن يجب أن ننظر لـــه بشكل جديد ومنهج جديد يتلائم مع طبيعة المرحلة التاريخية، لأن العالم يشهد اليوم تطـــور فى المناهج والموضوعات، ولقد ترسخت فى العقلية المعاصرة النظرة العلمية الجديـــدة فـــى مقابـــل النظرة التقليدية القديمة، ولتحقيق هذا الهدف كان من الواجب أن نعمـــل علـــى " نقل البناء النظرى السابق بعد نقده وتمحيصه على أساس نظرى جديد

---

(١). نفسه، ص :٣٤

(٢). نفسه، ص :٣٤

لإعطائـــه أبعـــادًا جديـــدة ســـواء من حيث اللغة التى يعبر بها ومن حيث الكشف عن مستويات جديدة للتحليل أو من حيث المادة التى يقدمها الواقع الجديد "[1].

إن القـضية إذن هـــى قـــضية فهم التراث وإعادة اكتشافه من جديد فى ضوء قيم البحث العلمى والروح العلمية حتى نخرج التراث من دائرة الإطلاقية إلى دائرة النسبية ونـــتحول مـــن كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث، لأننا فى البحث العلمى " لانتحدث عـــن نظـــريات ولا تصورات ولا مفاهيم مطلقة فكل نظرية وكل مفهوم يرتبط بسياق نـــشأته ويفتـــرض أن أى تصور أو تغيير فى السياقات المذكورة يؤدى بالضرورة إلى لزوم إعادة النظر فى المقدمات والوسائل والنتائج "[2].

ويـــرى حنفـــي فى هذا السياق أن هناك نظرتين أو نعرتين متعارضتين للتراث : النعـــرة العلمـــية والنعـــرة الخطابية وأن الفهم الحقيقى للتراث يكمن فى تجاوز تهافت هاتين النظرتين من حيث المنطلقات. فما طبيعة هذه النظرة ياترى والعلاقة التى تقيمها هاتين النعرتين مع التراث ؟

إن النعـــرة العلمية للتراث تعكس نظرة المستشرقين الذين يقرأون التراث مفصولًا عـــن الوحى أو يعتبرون الوحى جزء من التراث وينكرون البعد الإلهى لرسالة الإسلام ويخـــرجونه من دائرة الديانات السماوية باعتبار أن الوحى فى نظرهم تحريف وتلفيق لما جاء فى الديانة اليهودية والمسيحية وبالتالى " فالنعرة العلمية التى تقوم عليها مناهج المستـــشرقين تعنـــى دراســـة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة وكتاريخ خالص مكـــون من شخصيات وأنظمة إجتماعية وحوادث تاريخية محضة يمكن فهمها بتحليلها إلـــى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية تحدد نشاتها وطبيعتها "[3]. وإذا كان هذا هو جوهر النعرة العلمية فما هو جوهر النعرة الخطابية ؟

---

(١). نفسه، ص :١٤٩

(٢). كمال عبد اللطيف، الحداثة والتاريخ، أفريقيا الشرق، لبنان (ب.ط) ١٩٩٩، ص ٣٥

(٣). حسن حنفي، المرجع السابق، ص : ٧١

يرى حنفي أن النعرة الخطابية رغم أنها تنطلق من منطلق صحيح "التسليم بحقيقة الوحـــى" إلا أنها تقع فى الكثير من التناقضات، وهذا بسبب اعتمادها لأسلوب العاطفة فـــى مقابـــل المـــنهج العقلى ولإفتقادها أيضًا للوعى التاريخى الذى يجعلها تتعامل مع الواقـــع تعاملا نقديًا ومتفاعلا ويجعلها تستفيد من تجارب التاريخ، يقول حنفي: "بالرغم مـــن أن النزعة الخطابية تعطى الأولوية للوحى على التاريخ إلا أن الإتجاه إتجاه ساذج يعبر عن نوع من المراهقة الفكرية حيث تسود العاطفة والإنفعال"(١).

وفـــى نظر حنفي يكمن الفهم الحقيقى للتراث فى التوفيق بين المنطلقات الصحيحة لكـــل نظـــرة مـــنهما، وفى هذا الإطار يقول: "وإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها تعرف كـــيف تقول دون أن تعرف ماذا تقول فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف ماذا تقول دون أن تعـــرف كيف تقول والتراث والتجديد لتفادى الخطأين معًا إذ يحاول أن يعرف ماذا يقول وهو التراث وكيف يقول وهو التجديد"(٢). وبالتالى يكون التراث والتجديد قد أجـــاب علـــى الأســـئلة المستعصية فى الفكر العربى المعاصر وهى كيف نقرأ ونفهم التراث؟ وكيف نستفيد منه فى الحاضر؟

٤- جدلية الأنا والآخر:

يـــرى حنفي أن الأنا يتحدد بالآخر وأن بناء صورة الآخر فى الذات هو جزء من بـــناء الذات نفسها، ولأن التاريخ فى جوهره عملية جدلية، تأثير وتأثر " فتحديد موقفنا مـــن التراث الغربى جزء من حركة التاريخ وتطور الحضارة وإستمرار لما بدأناه فى العـــصر القـــديم كمـــا أنه تحليل لواقعنا المعاصر الذى أصبح التراث العربى جزء من تكويـــنه الثقافى كما أنه واجب وطنى وقومى من أجل تأصيل موقفنا الحضارى والقيام بالحركة التى لم نقم بها حتى الأن وهى معركتنا مع الثقافة الغربية الوافدة "(٣).

---

(١). نفسه، ص : ٩٦

(٢). نفسه، ص :١٠٥

(٣). نفسه، ص :١٨٠

وحتـــى تـــتم إعادة بناء الذات بناء نقديًا واعيا فى مقابل الآخر جاء حنفي بمفهوم "الإســـتغراب" الذى هو فى جوهره "الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الإستشراق هـــو رؤ ـــة الأنا "الشرق" من خلال الآخر "الغرب"يهدف علم الإستغراب إذن إلى فك العقـــدة التاريخـــية المـــزدوجة بـــين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر"(١).

لقد سعى الإستشراق الغربى فى نظر حنفي إلى تشكيل صورة نمطية للشرقى فى الوعـــى لغربـــى قائمة على التزييف والتحريف التشويه وهى صورة غير صحيحة فى أساســـها فـــى حين أنه إحتفظ لنفسه بصورة إيجابية تعكس قيم التفوق والعلم والإنسانية والهيمنة العالمية.

ومـــن هـــنا جـــاء علم الإستغراب ليقلب الصورة أى القيام بتشكيل صورة حقيقية للإنـــسان الغربـــى فـــى الوعـــى الـــشرقى من خلال دراسة الغرب فى إطار شروطه الاجتماعية والتاريخية بإعتبار انه نتاج ظروف ساهمت فى تشكيله وبنائه وإبرازه ومن هـــنا إدراك نـــسبية الحـــضارة الغربية والتخلص من عقدة النقص والقابلية للإستعمار والإستعباد والتبعية.

وعـــندما نقـــوم ببـــناء صـــورة جديـــدة للأنـــا والآخر فإننا بذلك نسمح بتقارب الحـــضارات، الحـــضارة الغـــربية والحضارة الإسلامية على الخصوص يقول حنفي: "فالـــصور الذهنـــية هى التى تحدد الرؤية وتوجه السلوك ومن كثرة تكرار هذه الصور النمطـــية تـــتحدد الوقائع ويدون التاريخ ويورث للأبناء عبر الأجيال وإن محاربة هذه الـــصور الكاريكاتـــورية للأنا فى ذهن الآخر وتطهير الآخر وعيه من هذه الصور لهو

---

(١). حسن حنفي، ماذا يعنى علم الإستغراب ؟ دار الهادى، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠، ص: ٤٩

تحـــويل لهـــذا الإلتقاء الحضارى من السلب إلى الإيجاب ومن التقابل إلى التفاهم ومن العداء إلى الحوار"[1].

وكنتـــيجة لـــذلك تـــصبح أطـــروحة نهايـــة الـــتاريخ وصراع الحضارات وكل الأطـــروحات الاســـتعمارية والإستكبارية المرتبطة بها غير ذات معنى عندما نقارنها بالأهـــداف الإنـــسانية والحـــضارية لعلم الإستغراب. ومن هنا يمكن أن نقول رغم إننا نعتبر حسن حنفي مفكرًا إسلاميًا يحمل هموم الأمة وهموم العالم الثالث فإن هذا لا يقلل مـــن إنـــه مفكـــر إنـــسانى وعالمى يساهم بفكره المضيء فى إنقاذ الحضارة الإنسانية والمـــصير العالمـــى، ذلـــك هـــو الهـــدف الخفى واللامنطوق فى مشروعه: " **التراث والتجديد**".

****

(١). نفسه، ص : ١٥٢